انفجار شجرة الصبار

شجرةُ صَبَّارٍ خاصمَها المطرُ. ارتحلَ أبناؤها وراءَ صبرٍ لا يشبعهم. دموعُهم بارودٌ يفجِّر آلامَهم. أياديهم لا تلتقي في الصخر شيئًا. معاولهم لا تهدُّ إلا أجسادَهم. وعندما لاح الاستسقاءُ في رؤوسٍ وليدةٍ، ابتهلتِ الأيادي. زرفتْ دمعًا نيليًّا. رأتْ بين إغماضِ العينِ والرجاءِ نِيلًا يفورُ.

ابتهلتِ العيونُ عندما اسودَّتِ السماءُ بالغيومِ. وبدلًا من أن ترقصَ ابتهاجًا بالمطرِ وتزرعَ نطفتَها في التُّرَابِ الْمُتَشَوِّقِ، حملتْ معاولَها وعاودتْ حَفْرَها في الصخر.

تضاحكتِ الغيومُ فيما بينها: فكيف لها أن تُخْبِلَ أرضًا بلا نطفة؟ وكيف لها أن تستجدي حضنًا باردًا وأيادي الفتيان عادتْ كما كانتْ كأشغالٍ شاقَّةٍ مؤبَّدَةٍ لا تعرفُ للطمي طعمًا ولا تصعدُ دَرَجَ المطرِ؟ واصلتِ الغيومُ طريقَها.

انفجرتِ الرغبةُ في جسدِ شجرةِ الصبَّارِ لتنقسمَ مئاتِ أشجارٍ تحنُّ إلى بعضها، تحنُّ إلى المطر، تلعنُ أبناءً تركوها ليكملوا دائرتَهم الأبديَّةَ ما بين الصخرِ والدُّموعِ الحارقةِ، كأنَّ الاستسقاءَ كانَ رحلةً، كأنَّ المطرَ كانَ مَنْظَرًا يستروحون به ثم يكملون أشغالَهم الشاقَّةَ المؤبَّدَةَ. **٢٨ سبتمبر ٢٠١١**